

طقوس وممارسات جنائزية بالفضاء الغربي لقلعة بوصبع (GBS.I.)

Rituals and practices in the western mortuary space of Guelaat Bousbaa

بن علال نصيرة¹، عادل وافية²

المركز الوطني للبحث في علم الآثار - تيبازة- nacerabenallel@yahoo.fr

المركز الوطني للبحث في علم الآثار - تيبازة- adel.ouafia@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2023/12/30

تاريخ القبول: 2023/11/30

تاريخ الاستلام: 2023/04/26

الملخص يهدف مسعانا من خلال هذا المقال، تسليط الضوء على أهم الطقوس والممارسات الجنائزية الموثقة خلال الحملات التنقيبية التي قمنا بها بالمقبرة الغربية لقلعة بوصبع بولاية قلمة، كما أنه نظرا لأهمية هذا الفضاء الجنائزي من حيث المساحة التي يتربع عليها، وتنوع أنماط مدافنه، وثرء المرفقات والملحقات الجنائزية التي أسفر عنها، ارتأيت تقديم هذه الدراسة المتواضعة التي سأحاول من خلالها النظر فيما إذا كانت هناك فوارق في الطقوس المتبناة من طرف مستوطني هذا الموقع القديم، ومدى تأثيرهم وتأثرهم بعقائد وتقاليده الشعوب النازحة إليهم خاصة الرومانية منها، معتمدين في ذلك على الجانب التنميطي للمدافن وكل ما يتصل بها من ملحقات، ونصب، ومرفقات مخصصة لتقديم القرابين.

الكلمات المفتاحية: قلعة بوصبع - مدافن - طقوس - ممارسات - مرفقات جنائزية

Abstract : Our endeavor, through this article, aims to shed light on the most important documented funerary rituals and practices, during our excavation campaigns in the western cemetery of Guelaat Bousbaa in the Wilayat of Guelma, and given the importance of this funerary space in terms of the area on which it sits, the diversity of its burial patterns, and the richness of the funerary attachments and accessories that it contains. As a result, I decided to present this modest study through which I will try to consider whether there are differences in the rituals adopted by the settlers of this ancient site and the extent of their influence and influence on the beliefs and traditions of the peoples displaced to them, especially the Roman ones, relying on the stereotypical side of the burials and all that Attachments, monuments, and attachments related to offerings.

Keywords: Guelaat Bousbaa, Burial, Rites, Practices, Furniture.

1. مقدمة:

يزخر تراب ولاية قالمة بإرث غني من المعالم الجنائزية العائدة للفترة الرومانية، إذ تعتبر من أهم الوثائق الأثرية التي تترجم الفلسفة العقائدية و الدينية للشعوب القديمة، حيث لا يخفى عن الجميع ما تكتسبه دراسة هذه المعالم من أهمية في التعريف بالطقوس والممارسات الجنائزية المتداولة آنذاك، وما توفره من معلومات تساهم في تسليط الضوء على الجانب الاجتماعي والعقائدي والثقافي لشعوب المغرب القديم. ولكن رغم ذلك لم يحظ هذا الجانب بالقسط الوافر من البحث والتحري، فالأبحاث المنشورة تتلخص في حفريات يعود أقدمها لسنة 1895 من طرف السيد هيلو (Hello) بالمقبرة البونية للقل، وأحدثها لسنة 1992-1993 من طرف الباحث لوفو (Leveau) بمقبرة المحطة الحضرية لشرشال.

أما إذا ألقينا نظرة على هذا النوع من الدراسات على الصعيد الوطني، فسنجد بعض المحاولات المتفرقة، اتبع فيها كل حسب اهتماماته مناهج مختلفة، منهم من انصب اهتمامه على الجانب التتميطي والتحليلي، بإدراج وصف المحيط الطبيعي كإطار للمعالم، من توفر المادة الأولية لبنائها. كما حاول البعض الآخر الاعتماد على الجانب الديني والعقائدي لتفسير أسباب اختيار أماكن تركيزها وتوجيهها نحو المرتفعات الجبلية والفلكية، التي كانت آنذاك من بين الظواهر الطبيعية المؤهلة، واعتمد آخرون على منهج التنقيب الأثري والتحري الميداني، رغم الصعوبات التي يواجهها مؤيدو هذا المنهج، من نقص في الإمكانيات المادية والتقنية التي تساهم في إنجاح هذا النوع من المساهمات، رغم ذلك تبقى هذه الدراسات غير كافية وتفتقر إلى الكثير من المواكبة لما يقام من أبحاث بالصفة الشمالية من البحر الأبيض المتوسط. كما تجدر الإشارة إلى أن أغلب أعمال التنقيب والبحث في هذا المجال، يطغى عليها الجانب الاستعجالي والإنفاذي، نظرا للعثور على هذه المعالم في ظروف طارئة، أثناء مشاريع التوسع الحضري والتهيئة العمرانية، أين يلعب عامل الوقت دورا هاما في التحكم بهذا النوع من المشاريع، علما أن توثيق القبر الواحد يتطلب منا يومين كاملين على الأقل من الفحص والتحري.

إن تطور مناهج البحث في علم الآثار الجنائزي في الآونة الأخيرة، نتج عنه تغييرا كبيرا في طريقة دراسة هذا النوع من المعالم، إذ لم يعد الاهتمام محصورا على جمع اللقى الأثرية، بل توجه إلى كل ما له علاقة بالحدث الجنائزي المتمثل في رصد تحركات و تصرفات الأحياء اتجاه موتاهم. كما أصبحت البقايا العظمية تمثل الشغل الشاغل للمتخصصين في هذا المجال، لما توفره من مدلولات وطيدة العلاقة بالمكونات العرقية للمجتمعات، وكذا الحالة الصحية للأفراد، و تحديد معدلات الوفيات الخاصة بكل الفئات.

و أصبح الباحث من خلال هذه البقايا، سواء كانت عمائر، أثاث أو قرايين بمختلف أنواعها، يستطيع التعرف على ثقافة المجتمعات بشقيها العقائدي، الاجتماعي، و الاقتصادي، إضافة إلى ما توفره من دلالات تاريخية، وتقنية تعبر عن مدى تأثر و تأثير الشعوب القديمة ببعضها البعض، حيث أصبحت هذه المدافن عبارة عن مرآة عاكسة لحياة

المجتمعات القديمة في شتى الميادين، مما أدى إلى تغيير نظرة الباحثين في دراسة هذه المعالم، معتمدين في ذلك على العلوم المكتملة، لتمكنه من تحليل بعض الرموز التي تصادفه أثناء أشغاله الميدانية، والتعرف على مفاهيم و تصورات الإنسان لظاهرة الموت.

و لمعالجة هذا الموضوع يمكن طرح التساؤلات الآتية:

ما هي كيفية الدفن بهذا المجتمع ؟ ما هي الطقوس و الممارسات الجنائزية المعتمدة أثناء مراسيم الجنازة، أو خلال الاحتفالات التذكارية؟ بالتركيز على مفهومها و دلالاتها؟ مستندين على أنماط المدافن والمرفقات الجنائزية، التي تم العثور عليها بالفضاء الداخلي للمدافن أو بمحيطها الخارجي، ورصد كل الملحقات الخارجية المتصلة بالقربين سواء كانت سائلة أم صلبة.

و من هذا المنطلق، ارتأينا مشاركة نتائج الحفريات الأثرية التي قمنا بها على مستوى مقبرة قلعة بوصبع (ولاية قالمة)، في شكل بحث أكاديمي، نهدف من خلاله تسليط الضوء على معالم هذه المقبرة، والتعريف و لو بشكل بسيط بطقوس وشعائر هذا التجمع السكاني القديم.

2. الإطار الجغرافي لبلدية قلعة بوصبع:

تقع بلدية قلعة بوصبع على بعد 13 كلم شمال مقر ولاية قالمة، على ارتفاع 350 متر عن مستوى سطح البحر، حيث ينحصر إقليمها الجغرافي بين خطي طول "36°32'45" شمالا وخطي عرض "31°28'7" شرقا. يحدها من الشمال الشرقي بلدية النشامية، ومن الجنوب بلدية هليوبوليس، ومن الغرب بلدية الفجوج، كما يحيط بها مجموعة من المرتفعات الجبلية المتمثلة في جبل السبع الذي يحدها من جهة الغرب بارتفاع يبلغ 600م، ومرتفع الفجوج إلى الشمال الشرقي بحوالي 544م، و جبال هواره بحوالي 1020م إلى الشرق.

تتميز هذه البلدية بأراضيها الخصبة التي تسقيها مياه وفيرة، من بينها واد بوصبع أحد روافد واد سييوس، الذي يحد البلدية من الجهة الشرقية، إضافة إلى مجموعة من العيون المتوفرة في أعالي المنطقة، نذكر منها على سبيل المثال (عين شعبة الغنم غربا، عين شوقة شمالا، عين كريمان شرقا وعين شرشار في الجنوب الغربي)، كما تشتهر حاليا بمنتوج وفير من حبوب القمح والمنتجات الموسمية مثل البقول، الكروم، أشجار الزيتون والبرتقال وغيرها (الشكل

رقم: 01).

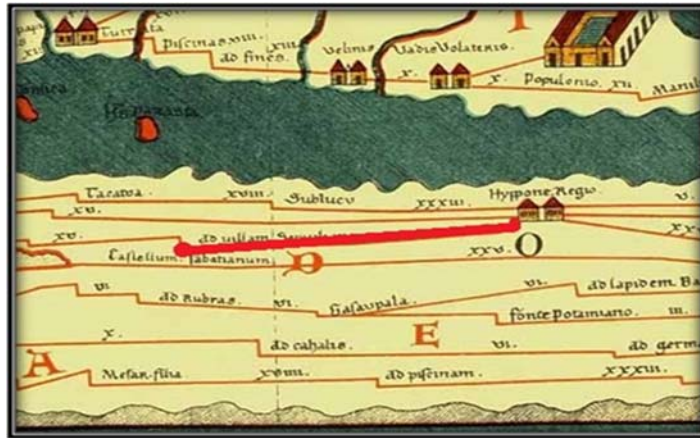


الشكل رقم 1 : موقع المقبرة
Carte Azzaba- NJ.32.ii.3-Est-
1.50.000e

تحتل المقبرة ربوة من روابي شعبة الغنم، التي ينحصر موقعها بين خط طول 51°32'36" شمالا ودائرة عرض 17°28'7" شرقا، و ترتفع عن مستوى سطح البحر ب380م. يحدها من الشمال فج الموالة، ومن الجنوب قعدة العسة، ومن الشرق كاف الدردار وكربوسة. تشرف المقبرة من جهة الغرب على الطريق الوطني رقم 21 الرابط بين ولايتي قالمة وعنابة، حيث يمكن لزائر البلدية رؤية آثار مدافنها على طول المقطع الذي خلفته أشغال تهيئة الطريق، والذي ساهم في فقدان الحدود الشرقية لهذا الفضاء الجنائزي، وتخريب العديد من المدافن أثناء تهيئته.

3. تاريخ الأبحاث :

ظهر اسم هذا الموقع بصيغة جد محتشمة على عدد من المنشورات، تتلخص في دراسات إحصائية لمجموعة من الأنصاب النذرية والجنائزية، التي أشار إليها بعض مستكشفي الفترة الاستعمارية، أمثال بربروجر (Berbrugger)¹، شارل دي فينيرال² (Charles de Vignerol) والدكتور فيكتور ريبو (Victor Reboud)³، أين قام هذا الأخير بوصف وجيز لبقايا التجمع السكني القديم لقلعة بوصبع، الذي رأى أنه يتناسب مع موقع آد فيلام سرفيلينم (Ad villam Servillianam)، انطلاقا من بعض الدلائل الأثرية المتمثلة في ناقشتين جنائزيتين، تم اكتشافهما في كلا من موقعي قلعة بوصبع وحمام برادع. تحمل الناقشة الأولى اسم سارفيليانوس (Servilianus)، والثانية أسم تارسيوس كايوس سارفيليوس تابولاريوس (Tertius Caius Servilius Tabularius)، حيث تتّمنان حسب اعتقاده موقع قلعة بوصبع، في حين اعتمد كرولي (Creuly)⁴ على المسافة المحددة في مسار أنطونين⁵ وخريطة بوتينجر لتتّمين موقع النشامية الذي يقع إلى الشمال الشرقي من موقع قلعة بوصبع بمسافة تقدر بثمانية كيلومترات (الشكل رقم: 02).



الشكل رقم 2: خريطة بوتينجر

¹ **Berbrugger (M)**; L'Algérie historique, pittoresque et Monumentale, quatrième partie, province de Constantine. Paris chez J. Delahaye. 1843. p.3

² **Vignerol (Ch)**; Ruines romaines de l'Algérie, Subdivision de Bône, Cercle de Guelma, Paris 1867. P. 3

³ **Reboud (V)** ; Excursion dans la Maouina et ses Contreforts, RSAC. 1884, p. 14-15

⁴ **Le général Creuly**; Announa et Hammam Maskhoutine. R.A. 1856-57, p.631

⁵ **Colonel Lapie** ; Recueil des itinéraires anciens. Imprimerie royale, Paris. MDCCCXLV, p. 11 et 294.

4. الإطار التاريخي لمنطقة قالمة :

نظرا للأراضي الخصبة والموارد المائية التي تتوفر عليها منطقة قالمة وما جاورها، بالإضافة إلى قربها من الشريط الساحلي، فهي تعج بدلائل الاستقرار البشري وذلك منذ العصر الحجري القديم⁶، حيث يتجلى لنا ذلك من خلال بعض الصناعات الحجرية القديمة، التي تم العثور عليها على بعد سبعة كيلومترات من مقر الولاية. كما عرفت المنطقة بمعالمها الجنائزية ذات الطابع المحلي، التي تتمثل في عدد كبير من المحطات الميغاليثية كالركنية⁷، جبل الحلو⁸، محطة شنيور، قلعة بوعطفان⁹ والنقوش الحجرية المعروفة بخنقة الحجر¹⁰.. وعرفت أيضاً توافد العديد من العناصر البشرية بدءا بالاستيطان الفينيقي، الذي تمثلت مخلفاته في بعض المدافن البونية المحفورة بالحجر، عثر عليها أثناء فترة الاحتلال الفرنسي بأعالي مدينة قالمة¹¹، وفي بعض المعالم المعروفة بالحوانيت المنتشرة في محطة الركنية، إضافة إلى بعض الناقشات الجنائزية والنذرية، التي ورد فيها العديد من الأسماء الليبية والبنونية¹²، وأسماء معبودات محلية مثل بالدير، عثر عليها بمنطقة قلعة بوصبع¹³ وبكاس بمغارة جبل الطاية¹⁴. كما يجدر بنا الإشارة إلى مجموعة من المواقع الأثرية، التي تتمثل في تجمعات سكنية ذات طابع فلاحي وملكيات خاصة كالفيالات، نذكر على سبيل المثال سلاوة عنونة، حمام المسخوطين، عين النشمة، كاف بوزيون، هنشير بوعطفان، النشامية، قلعة بوصبع، وغيرها من التجمعات السكنية الأخرى.

5. توزيع مدافن مقبرة قلعة بوصبع:

مقبرة قلعة بوصبع تقدر مساحتها بحوالي 30.000 م²، أين قمنا بتتقيب جزء بسيط لا يتعدى 3000 م²، و تم توثيق 162 مدفن مهياً في طبقة صلصالية، على عمق يتراوح ما بين 0.50م و 1.30م. إن المنهجية المتبعة في التدخل الميداني، التي تمثلت في أسبار طولية تتخللها ممرات ضيقة تفصل بين السبر والآخر، نتج عنها بعض الصعوبات التي حالت دون إقامة دراسة شاملة لهذا لفضاء الجنائزي، إلا أنه عند التمعن في المخطط

⁶ Breuil (H), Reygasse (M), Roffo (M); Excursion archéologique en Afrique du Nord, J.S.A. 1936. p. 163

⁷ Faidherbe, Recherches archéologiques sur les tombeaux mégalithiques de Roknia, B.H, 1865, n°4, p.1-98/
Bourguiniat (JR); Histoire des monuments mégalithique de Roknia. Paris 1868.

⁸ Gsell (st); AAA f9, 150bis, p.21

⁹ Gsell (st); Les monuments antiques de l'Algérie. T. I. Paris.1921. p.33

¹⁰ Op-cit ; Reboud ; p. 62

¹¹ Ibid ; Gsell, F9, 146. p.20

¹² Chabot (JB); Mission épigraphique dans l'Afrique du nord, CRAI 1919. -Judas (A), Etude démonstrative de la langue phénicienne et de la langue punique, RSAC X. 1866. p. 153-156

¹³ Ibid; Reboud. p.16. - Camps (G); Baldir, Encyclopédie Berbère IX, 1991. p. 1289

¹⁴ Barone (R); Exploration et fouilles des grottes du Djebel Taya, B.M.S.L de Lyon, 13^e année, n°6, juin 1944. pp. 83-90. - CIL, VIII. 5504 à 5519 et 18828 à 18857. - Camps (G); Bacax, Encyclopédie Berbère, IX, p. 1297-1298. - ALQUIER J; Le Chettaba et les grottes à inscriptions latines du Chettaba et du Taya, Constantine, Paulette et fils, 1929

العام للمدافن، يمكن ملاحظة نوع من عدم التنظيم في استغلال المساحات، و العديد من الفراغات بين المدافن الواقعة بالناحية الغربية للمقبرة؛ أي المناطق الغير مطلة على موقع التجمّع السكني القديم، الذي يقابلها من جهة الشرق، وعلى مستوى كل أسبار (المنطقة 1 و 2، المنطقة 3-6، والسبر 11 من المنطقة 7).

أما في الأسبار الأربعة للمنطقة 5 لم نسجل إلا مدفين ونصب جنائزي، في حين تميزت المناطق المتبقية باستغلال مفرط للمساحات، كما هو الحال بالسبر (4 من المنطقة 2، والسبر 1 من المنطقة 8، والسبر 14 من المنطقة 7 و بكل أسبار المنطقة 9) (الشكل رقم: 3، 4).



شكل رقم: 03-04:

الحملة التوثيقية لسنة 2013-2015 و

6. أنماط المدافن المكتشفة: تميزت مدافن مقبرة قلعة بوصبح بأنماط بسيطة من ضمنها:

1.6. الحفر المهيأة مباشرة في طبقة صلصالية التكوين، جاءت كقاسم مشترك بين مدافن الدفن العادي والترميز بنوعيه الأولي والثانوي، مغطاة في أغلب الحالات ببلاطات حجرية. إذ يعتبر هذا النمط من أقدم وأكثر الأنماط شيوعاً بهذه المقبرة، ربما لقلة تكلفتها حيث تتلاءم مع الشرائح البسيطة من هذا المجتمع. كما سجلنا على مستوى هذه الفئة مجموعة مكونة من 17 حفرة منعدمة الغطاء و 60 حفرة أخرى مغطاة ببلاطات حجرية أو بردم من الحجارة متفاوتة الأحجام، إضافة إلى 27 مدفن آخر مخصص لطقس الترميم الأولي و 03 حفر للترميز الثانوي (الصور رقم: 01، 02).

الصورة رقم: 01
نموذج من المدافن المنعدمة الغطاء



الصورة رقم: 02
نموذج من المدافن المغطاة

2.6. تنتمي المجموعة الثانية لفئة المدافن الصندوقية النمط en coffre، مبنية بواسطة حجارة متوسطة الحجم، وفي أحيان أخرى ببلاطات حجرية موضوعة شاقوليا على جوانب الحفرة، حيث يتم غلقها بواسطة مجموعة من الألواح الحجرية أو القرميدية، أين تم اللجوء في أغلبها إلى تدعيم الأغشية بدم من الحجارة المتفاوتة الأحجام، كان الهدف منها منع تسرب الأتربة بداخل المدفن وقطع أي اتصال بالخارج (الصور رقم: 3، 4). نسبة حضور هذا النمط جد ضئيلة بالمقارنة مع الحفر العادية و ذلك بمجموع 23 مدفن.



الصورة رقم: 3-4
نماذج من المدافن الصندوقية

3.6. المجموعة الثالثة تتمثل في المدافن القرميدية (sous tuiles)، التي سجل حضورها في مناطق متعددة من تراب الولاية، نذكر على سبيل المثال: مقبرة برج حمام، مقبرة حي باب سكيكدة، والمقبرة الجنوبية لحمام دباغ. يدعم جوانب الحفرة في هذا النمط صفيين من ألواح القرميد المركبة في شكل سقف مسنم، تغلق جوانبه عند موضع الرأس

والأطراف السفلية بواسطة لوحين من نفس الصنف، كما يفرش قاع الحفرة في أغلبية الحالات بصف من الألواح، يختلف عددها باختلاف مقاسات القبر، أين يصل عددها في بعض الحالات الأربعة ألواح. أما على مستوى مقبرة قلعة بوصبع فلقد تم تسجيل مجموعة مكوّنة من تسعة 09 مدافن، كلها مخصصة لطقس الدفن العادي. (صورة رقم: 05).

الصورة رقم 05:
المدفن 171



4.6. تعتبر الأنفورات بتنوع أشكالها وأحجامها، صنف من الحاويات التي لجأ إليها سكان المغرب القديم لدفن موتاهم، حيث كانت في أغلب الأحيان مخصصة لطقس الدفن العادي، إلا أنه تم استعمالها كذلك كحاوية لبقايا العظام المحروقة (Les urnes cinéraires). يمثل هذا النوع من الحاويات أحد الأنماط المفضلة لدى الشعوب القديمة، نظرا لما توفره من عوامل حفظ جيدة لمخلفات شريحة الأطفال، وكذا من أجل احتواء شريحة البالغين. يرجع هذا النمط حسب بعض الشهادات¹⁵ إلى أصول شرقية، انتقلت إلى شمال إفريقيا مع النزوح الفينيقي، حيث تم الإشارة إلى العديد منها بقرطاج، بولاريجيا، سيلكتوم وحضرموت¹⁶، بوبوت¹⁷، سطورة بسكيكدة، الشارقة بالجزائر، ببسكرة¹⁸، بسيدي فرج، بتيبازة¹⁹، بشرشال²⁰، وبمقبرة سطيف²¹. تم تسجيل على مستوى هذه الفئة أربعة مدافن، تحتوي جميعها على رفات شريحة الأطفال (الصورة رقم: 06).

¹⁵ Toutain (J); les cités romaines de la Tunisie, essai sur l'histoire de la colonisation romaine dans l'Afrique du Nord, Paris, pp. 230-235

¹⁶ Ibid; Toutain . pp. 235-236

¹⁷ Ben Abed (A); Fouilles de la nécropole romaine de Pupput, CRAI, 2001, pp.553-592, fig.9-10

¹⁸ Mortillet (A) ; Cimetière ancien près de Biskra (Algérie). In: Bulletins de la Société d'anthropologie de Paris, III^e Série. Tome 11, 1888. pp. 720-724; doi : <https://doi.org/10.3406/bmsap.1888.5403>
https://www.persee.fr/doc/bmsap_0301-8644_1888_num_11_1_5403

¹⁹ Baradez (J); Les nécropoles de Tipasa, Tombes du cimetière occidental côtier, Ant-Afr.T2, p.77-93

²⁰ Leveau (Ph); Fouilles sur la nécropole de la gare routière de Cherchel, 1992-93, Ant-Afr, 1999, pp.77-114

²¹ Guery (R); La nécropole Orientale de Sétif, fouilles de 1966-1967, CNRS, 1985, p. 106, fig.92



الصورة رقم 06:
نموذج من المدافن الأنفورية

5.6. **مدافن الترميد:** تتمثل في حفر مليئة بكوم من العظام المتفحمة والمختلطة ببقايا الخشب المضاف لإشعال نار المحرقة، حيث يقوم الحاضرون لمراسم الجنازة، بإضافة بعض القوابين السائلة أو الجافة وأدوات أخرى خاصة بالمتوفى، يصعب غالبا التعرف عليها نظرا لتغير أشكالها بفعل درجة الحرارة العالية، حيث يطلق عليها في هذه الحالة اسم المرفقات الأولية. كما تضاف عناصر أخرى بعد إخماد حقل المحرقة، تتمثل في أثاث مختلف الأصناف يطلق عليه اسم المرفقات الثانوية (الصورة رقم: 07). تم توثيق في هذا النمط 28 حفرة مهيأة لاستقبال رفات المتوفين المطبق فيهم طقس الترميد الأولي.



الصورة رقم: 07
نموذج من مدافن الترميد
الأولي

6.6. أسفرت نتائج الحفريات عن نمط آخر من مدافن الترميد، يتمثل في 25 حاوية مهيأة لاستقبال بقايا العظام المرمدة، التي تم جمعها من حفر الترميد الأولي، والتي يطلق عليها مدافن الترميد الثانوي، حيث جاءت هذه الأخيرة في

شكل ثلاثة أنماط، تتصدرها مجموعة من الحاويات الحجرية، المغطاة بواسطة أغشية حجرية مسنمة الشكل (Ossaria) (الصورة رقم: 08)، يليها ثلاثة أنماط من الحاويات الفخارية ، بدءا بنمط الأنفورات الكروية الشكل، الأباريق، ثم الأطباق (الصورة رقم: 09)، وحفر مهيأة مباشرة في التربة.



الصورة رقم: 08، 09

نماذج من حاويات (مدافن) الترميد الثانوي

7. طقوس الدفن: لقد أكدت نتائج الحفريات التي خصت مقابر النوميديين بالمغرب القديم، التي امتازت بطقوس وممارسات اعتمدها السكان المحليين، أهمها ممارسة الدفن العادي التي تم انتشارها بشكل كبير بين أوساط المجتمع النوميدي، مع بروز بعض التباين بين الإقليم الشرقي والغربي طوال فترة فجر التاريخ، واستمر إلى قبيل الاستيطان الروماني، خلال القرنين الأول قبل الميلاد والثاني الميلادي، أين تزامنت فيه عاداتي الدفن والحرق مع بعض الميول إلى الطقس الترميد²².

كما عرف طقس الدفن العادي وضعيات مختلفة، منها الممدودة على الظهر والجانبية²³، فعلى سبيل المثال عادة الدفن العادي التي كانت سائدة في قرطاجة من القرن الثامن إلى غاية القرن الثاني قبل الميلاد²⁴ وفي جيجل من القرن الخامس إلى الثاني قبل الميلاد²⁵.

²² Gsell, St. Histoire ancienne de l'Afrique du Nord. Paris. 1927. T. 6.

²³ Camps (G); Inhumation, dans encyclopédie berbère N°24, 2001, édition électronique, p. 3738-3760

²⁴ Bénichou-Safar (H.), Les tombes puniques de Carthage. Topographie, structures, inscriptions et rites funéraires. Paris, CNRS édit., 1982, p. 237.

²⁵ Alquier (J. et P.), Tombes phéniciennes à Djidjeli , R.A. 1930, p. 1-17

تشير المعطيات الأثرية بصفة عامة إلى أنه كان هناك تراجع في ممارسة عادة الدفن العادي، بدءا من القرن الأول قبل الميلاد، نظرا لتأثيرات الخارجية المتمثلة في الغزو الروماني، لتعم بعدها كل أرجاء المغرب القديم ابتداء من القرن الثالث. نستدل في ذلك على بعض النتائج والدراسات المنشورة لستيفن غزال للمعالم العتيقة بالجزائر²⁶، فيليب لوفو حفريات مقبرة شرشال²⁷، منير بوشناقى إثر حفريات المقبرة الغربية لتيبازة²⁸، وكذلك ألبار فيفري الذي قدم حوصلة شاملة حول طقوس الدفن في المغرب القديم²⁹ وحفريات بعض المدافن لمقبرة تيديس³⁰.

كما عرف طقس الترميد انتشارا واسعا بالمغرب القديم وإن لم يكن بنفس حدة الدفن العادي، إلا أن هناك بعض الشهادات التي تؤكد أن هذا الطقس عبارة عن عادة دخيلة على المجتمع النوميدي³¹، رغم العثور على أمثلة عديدة على مستوى كل التراب الوطني³². مهما يكن ينسب بعض الباحثين³³ أصل هذا الطقس لعناصر نازحة، كالفينيقيين، والرومان، أو عن طريق التبادل التجاري بين المحليين و الإغريق، حيث لاقت هذه الممارسة استحباب بعض الشرائح من المجتمع النوميدي، الذي ساعد على انتشارها في المناطق الساحلية المتشعبة بالثقافة الهلينستية³⁴، أو بالمدن الكبرى التي بلغت فيها درجة الرومنة أقصى حد.

أما فيما يخص نتائج الأبحاث التي توصلنا إليها من خلال الحفريات المنفذة بمدفنة قلعة بوضبع، أثبتت هذه الأخيرة أن طقس الدفن هو السائد بمائة وثمانية مدفن، إلا أنه رغم سيادة هذا الطقس تم بالمقابل تسجيل عدد لا بأس به من مدافن الترميد، وذلك بمجموعة مكونة من اثنان وخمسين مدفن، يجمع ما بين عادة الترميد الأولي والثانوي.

1.7. وضعيات الدفن: من بين وضعيات الدفن المعتمدة من طرف شعوب بلاد المغرب القديم التي أدلت عنها نتائج الأشغال الميدانية، اجتمعت كلها على مدى تنوع وضعيات الدفن لدى شعوب شمال إفريقيا، بدءا من فجر التاريخ التي شوهدها به الوضعية الجانبية الممدودة، القرفصاء، و الجنينية، التي ظلت سائدة حتى العصور التاريخية³⁵. و في ظل الانفتاح على ثقافات الحضارات الأخرى، شهد إثرها مجتمع المغرب القديم تحولات أصبح الدفن على الشكل الممدد هو الوضعية الغالبة، مع بقاء بعض الوضعيات التي تستمد أصولها من ممارسات فجر التاريخ. من بين وضعيات الدفن

²⁶ Gsell (St), Les monuments antiques de l'Algérie, t. 2, 1901, p. 39

²⁷ Leveau (Ph.); Caesarea de Maurétanie : une ville romaine et ses campagnes. E.F.R, 70, Rome, 1984, pp. 13 et 206.

²⁸ Bouchenaki (M.); fouille de la nécropole occidentale de Tipasa, SNED. Alger 1975, pp. 89-91-191

²⁹ Fevrier (P.-A.); « Incinération et inhumation dans le Maghreb antique », in Incinérations et inhumations dans l'occident romain aux trois premiers siècles de notre ère, edit. M. Vidal, Paris, 1991, p. 186

³⁰ Idem, Nécropole orientale de Tiddis, Fouilles de Mai-Juillet 1967, BAA. IV, 1970, pp.41-100

³¹ Gsell (St); HAAN, T-6. p.240 - Camps (G); Incinération, Encyclopédie berbère, vol 24. Mis en ligne 17 janvier 2013. pp.3710-3714 .

³² Ibid; HAAN, p.240-247-48-50

³³ Ibid; Camps, p. 03 - Guery (G); La nécropole orientale de Siftis, fouille 1966-67, Ed. CNRS, Paris.1985, p.312.

³⁴ Ibid; Camps. Incinération. p.2

³⁵-Gsell (S.), H.A.A.N, t. VI, 1927, p. 209-216 ; Camps (G.), inhumation. encyclopédie berbère 2001.p. 3738-3760

السائدة على مستوى مدافن قلعة بوصبع نذكر الوضعية الظهرية الممدودة، التي تميزت بها الحفر المغطاة بالبلاطات الحجرية، المدافن الصندوقية، المدافن المغطاة بواسطة الأسقف القرميدية و كذا الأنفورية، حيث تم إحصاء في هذه الوضعية (87) حالة.

إن الوضعية الممددة على الظهر من بين وضعيات الدفن الأكثر شيوعا بالمغرب القديم، إذا ما قورنت بالوضعيات الأخرى، حيث أكد جبريال كامبس³⁶ بأنها من خاصيات الدفن الأكثر استعمالا خلال الفترات التاريخية، حيث تغلغت بين أوساط المجتمع النوميدي عن طريق النزوح الفينيقي والروماني. تنوعت وضعيات الدفن بمقبرة قلعة بوصبع، بين الوضعية الظهرية الممددة بحصيلة واحد وسبعين حالة (الصورة رقم: 10)، والوضعية الجانبية مع انطواء خفيف للأطراف السفلية بعشرة حالات، التي كانت حكرا على الحفر المنعدمة الغطاء (الصورة رقم: 11)، باستثناء حالة واحدة تمت ملاحظتها بمدفن صندوقي.

وأخيرا من بين وضعيات الدفن الغربية التي لوحظت بهذه المقبرة، نذكر الوضعية الممددة على البطن (الصورة رقم: 12)، التي تعتبر من الممارسات الشاذة تم تفسيرها من طرف بعض الباحثين على أنها من الوضعيات لا منطقية، حيث أطلق عليها اسم مدافن النفي، قد تنتمي لأفراد توفوا وفاة عنيفة أو غير طبيعية (كالانتحار، جريمة، حادث أو صاعقة)³⁷.



الصور رقم: 10، 11، 12
وضعية الدفن المسجلة

³⁶ Ibid ; Camps inhumation. P.3738-3760

³⁷ Barrand (H.E); Les pratiques funéraires liées à la crémation dans les ensembles funéraires des capitales de cité, au haut empire en Gaule Belgique, Thèse de doctorat, Université lumière- Lyon 2. UMR-5138- Archéométrie et Archéologie. 2012, Vol 1, p.596

2.7. توجيه مدافن الدفن العادي: مما تم التعارف عليه فيما يخص توجيه المتوفين بداخل حفرة الدفن، أنه يكون حسب المحورين الجغرافيين الأساسيين شمال جنوب- غرب شرق، إلا أنه تم ملاحظة بعض الانحرافات الطفيفة، المرتبطة بصفة عامة بتغير الفصول السنوية، التي تمت فيها عملية الدفن³⁶. الاتجاهين السائدين بمدافن مقبرة قلعة بوصبع هو شمال غرب -جنوب شرق وكذلك جنوب غرب -شمال شرق، حيث بلغ عدد مدافن الاتجاه الأول (57) مدفن، أما حالات الاتجاه الثاني فيناهم عددها (41) مدفن. كما نشير أيضا إلى بعض الحالات التي جاء اتجاه فيها نحو غرب- شرق، إلا أن نسبتها قليلة بالمقارنة مع الوجهات السابقة، وذلك ب (08) مدافن، وأخيرا تم تسجيل ثلاثة (03) مدافن موجهة باتجاه جنوب- شمال.

3.7. توجيه مدافن الترميد الأولي: لاحظنا في هذا النوع من المدافن بعض التباين العددي، مقارنة بتلك المخصصة لشعيرة الدفن، فمن بين (158) قبر مؤثق، تم إحصاء اثنان وخمسون 52 مدفن طبق فيهم طقس الترميد، من بينها (27) مدفن من النمط الأولي. أما فيما يخص توجيه مدافن هذا النمط، تم تسجيل (14) حفرة موجهة شمال غرب- جنوب شرق، وبالمقابل جاءت ثلاثة عشر (13) حفرة أخرى موجهة شمال شرق -جنوب غرب.

8. المرفقات الجنائزية: تعتبر المرفقات بشكل عام، بمثابة العلامة أو الوسيط الاجتماعي الوحيد للمتوفى، التي من خلالها نستطيع فهم مختلف الوظائف التي استعمل من أجلها، سواء كان ذلك أثناء مراسيم الجنازة أو المواسم الاحتفالية الخاصة بذكرى وفاة المتوفى. كما يمكن تفسير المرفقات المكتشفة بداخل المدافن بطرق مختلفة، وفقا لنوعيتها واستخداماتها، بالإضافة للقيمة الرمزية المرتبطة ببعض منها، وكذلك وفقا لموضعها بالنسبة للمتوفى، و بالنسبة لموقعها في الفضاء الجنائزي، حيث يتم وضع البعض منها داخل المدفن، والبعض الآخر في المناطق المجاورة له، مستقلا عن القبور نفسها. كما يمكننا تقسيم الإيداع الجنائزي (Le dépôt funéraire) إلى مجموعتين فرعيتين مختلفتين:

تتمثل المجموعة الأولى من المرفقات، التي يتم استعمالها لاحتواء القرابين السائلة أو الصلبة المقدمة لأرواح المتوفى، والتي تستعمل عادة لأداء طقوس معينة أثناء تشييع الجنازة أو أثناء المآدب الجنائزية التي يتقاسمها الأحياء مع الأموات، حيث يوضع البعض منها فوق المحرقة قبل إضرام النار عندما يتعلق الأمر بمدافن الترميد، و يطلق عليها في هذه الحالة اسم المرفقات الأولية. بينما تتمثل المجموعة الثانية في الأواني التي ترفق لاحقا بمدافن الترميد الأولي بعد إخماد نار المحرقة، أو بمحاذاة مدافن الترميد الثانوي، وهنا يطلق عليها اسم المرفقات الثانوية.

كما ترفق أواني المائدة بمجموعة من الأغراض الشخصية للمتوفى التي يقوم الأهل بدفنها بالقبور أو خارجه، والتي تتميز عادة بدور وظيفي، قد ترتبط بالمهنة التي زاولها المتوفى أثناء حياته، أو من أجل استعمالها أثناء مراسيم

الجنائز أو بعدها، كالمساكين، المقاص، والملاقط، وقد يمتاز البعض منها بدور شعائري محض كالمصاييح، المسامير والمرايا، أو كذلك نظرا للقيمة العاطفية التي يمثلها البعض الآخر بالنسبة للمتوفى.

لقد حاول العديد من الباحثين تفسير ظاهرة إرفاق الميت بمجموعة متنوعة من الأواني ذات الاستعمالات اليومية المختلفة، والتي تم الاتفاق على تفسيرها بعملية حرص الأحياء على القيام ببعض الممارسات الجنائزية التي قد تسبق أو تلي عملية الدفن، حرصا منهم لتوفير كل الاحتياجات اللازمة لموتاهم في العالم الآخر من جهة، و من جهة أخرى من أجل اتقاء شر الأرواح التائهة. ومن المساهمات القيمة في تفسير هذه الممارسات، خاصة تلك المتمثلة في الإيداعات الجنائزية التي يتم العثور عليها بمحاذاة المدافن، يجدر بنا الأخذ بعين الاعتبار دراسة شيد (Sheid)³⁸، الذي ساهم بكثير من الحيلة في تحليل هذه الظاهرة، معتمدا في ذلك على النصوص القديمة، من أجل إبراز كل ما هو رمزي عن ما هو حقيقي، خاصة حينما يتعلق الأمر بالمآدب الجنائزية المشتركة بين أهل المتوفى، أو تلك المهداة كقربان لروح الميت.

كما تلعب المرفقات الجنائزية، في مرحلة ما من مراحل الاحتفال بتشييع الجنائز، دورا خاصا يصعب على الباحث تفسيره، نظرا لعدم القدرة على تركيب أو إعادة تشكيل تعاقب الحدث الجنائزي و تفسير معناه³⁹.

فيما يخص أصل هذه الودائع يمكن طرح بعض التساؤلات؟: هل هي ملك للمتوفى؟ أم هي عبارة عن قطع قديمة لها قيمة عاطفية بالنسبة للمتوفى؟ أو على العكس عبارة عن آنية تم اقتنائها خصيصا للمناسبة؟، وهنا لا يمكننا الجزم في الإجابة عن هذه التساؤلات، حيث كل الاحتمالات واردة.

أما عن آثار الاستعمال التي نجدها على بعض الأواني كالمصاييح، والنوعية الرديئة للبعض الآخر، التي يمكن أن توجي باستعمالها في الحياة اليومية، وآثار عيوب الصنع في البعض منها، تبين أن هذه الأخيرة لم تعرف استعمالا آخر غير الذي اقتتيت من أجله وهو الاستعمال الجنائزي، ومن بين المرفقات الفخارية الخاصة بتقديم القرابين الجافة، نذكر الأطباق، الصحون والجفان، أما تلك الخاصة بتخزين القرابين السائلة وسكبها، نذكر الأكواب، الأباريق، القلال والأنفورات. كما تم ملاحظة أوعية أخرى ذات طابع شعائري محض، نذكر من بينها المصاييح و القنينات سواء كانت هذه الأخيرة فخارية أو زجاجية، القطع النقدية، المسامير والمرايا، ومن بين مرفقات الزينة التي يمكن إدراجها بين الأدوات الوظيفية نذكر: الأبازيم بأنماطها، نظرا لتواجدها بمواضع غير اعتيادية (الأطراف السفلية أو العلوية للمتوفين)، مما جعلنا ننحاز لفكرة استعمالها كأداة لشد الكفن، رغم أننا لم نلاحظ أية آثار بداخل المدافن. إضافة إلى ذلك لاحظنا أدوات وظيفية أخرى مشكّلة من مادة الحديد، أهمها المقاص والسكاكين.

³⁸-Scheid (J); Pour une archéologie du rite, Nouvelle perspectives de l'Archéologie funéraire, collection de l'école française de Rome 2008. pp-355-358

³⁹ Op-cit, Scheid. pp-355-358

و من أجل تحديد وظائف هذه المرفقات عمدنا إلى تقسيمها إلى أربعة فئات:
- الفئة الأولى: تتمثل في مرفقات تم الكشف عنها بداخل مدافن الدفن العادي.
- الفئة الثانية: تتمثل في مرفقات أولية لمدافن الترميد الأولى أو الثانوي.
- الفئة الثالثة: تتمثل في أواني ثانوية، تم الكشف عنها بمدافن الترميد الأولى أو الثانوي.
- الفئة الرابعة: تتمثل في تلك الودائع التي خلفت خارج المدافن أثناء الاحتفالات التذكارية، بعد الانتهاء من استعمالها، مع مراعاة موضعها في الفضاء الجنائزي.

1.8. الفئة الأولى: إن إيداع الأثاث في الحفر المنعدمة الغطاء، أمر نادر الحدوث، إلا في بعض الاستثناءات أين أسفر مدفين على ملقط ومشبك من البرونز المؤرخ بالقرن الأول للميلاد⁴¹، بالإضافة لمرآة مكسورة من معدن البرونز. أما فيما يخص الحفر المغطاة ببلاطات حجرية، فلقد أسفرت أغلبية المدافن على مجموعات كاملة من أثاث المائدة المكونة من صحن، أطباق، جفینات، قصاع، أباريق، أكواب ومصابيح، مكننتا من تأريخ البعض من هذه المدافن بالقرن الأول، تتصدرها نماذج من الأطباق والقصاع من الفخار الكمباني والسيجيلي ومصابيح هليستية (الصور رقم: 14، 13، 16، 15).

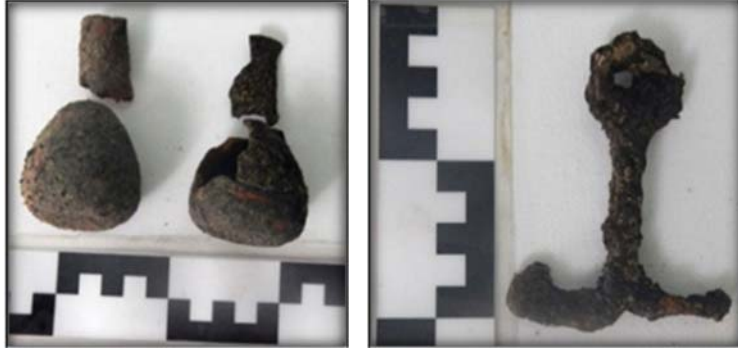
الصور رقم : 13، 14
نماذج من مرفقات مدافن الدفن



الصور رقم : 15-16
نماذج من مرفقات مدافن الدفن العادي

2.8. الفئة الثانية: تتمثل في مجموعة من الأثاث المختلف الاستعمالات، يوضع إلى جانب أو فوق المتوفى قبل إضرام نار المحرقة ويدعى هذا الأخير بالأثاث الأولي، وقد لوحظ على مستوى أربع مدافن للترميز الثانوي من نمط

الحاويات الحجرية (Ossarium). كما تم ملاحظتها على مستوى ثلاثة مدافن للترميز الأولي، حيث تم الكشف على جفنية وصحن من الفخار العادي المحطم، وبقايا ثلاثة قنينات فخارية وأداة مبهمة من معدن الحديد (الصو رقم:



17،18).

الصو رقم : 17،18

نماذج من المرفقات الأولية

3.8. الفئة الثالثة: تتمثل مجموعة متميزة من الأواني المستوردة تم اكتشافها بمدافن الترميز الأولي والثانوي، تترأسها مجموعة من الأطباق والجفان المشكلة في فخار الأرتين⁴⁰ والكمباني من نمط (B وA)⁴¹ (الصو رقم: 13،14)، ومجموعة من المصابيح الفخارية الرفيعة التي تحمل زخارف متنوعة من نمط (IA و IB) المؤرخة بالقرن الأول للميلاد⁴². كما أسفرت الحفريات على نماذج أخرى من المصابيح من نمط (Type 3. Variante 2-3 et sous) (variante)⁴³، ترجع لنهاية القرن الأول قبل الميلاد إلى غاية القرن الثاني الميلادي، بالإضافة إلى بعض القوارير الفخارية والزجاجية ومرايا من النمط الإغريقي (الصو رقم: 19،20،21).



الصو رقم 19 صحن من



الصو رقم : 22،21،20

نماذج من المرفقات الثانوية

⁴⁰ Passelat, M. Céramique sigillée italique, Lattara 6. 1993. p.559

⁴¹ Py, M. Céramique Campanienne, Lattara 6. 1993. p.152

⁴² Louis, J. Lampes romaines de Carthage. R.A. T.2. p.156. Pl.1

⁴³ Provoost, A. Lampes antiques en terre cuite. Ant classique. T.45. p.555

4.8.الفئة الرابعة: تتمثل في مجموعة من الودائع و الشواهد الوظيفية المتعلقة بالممارسات والطقوس التي تؤدي من طرف الأولياء، طبقا لبرنامج دينية رسمية تتضمن مجموعة من الاحتفالات التذكارية، التي تجرى بعد الانتهاء من إجراءات الدفن بفوارق زمنية محددة أثناء مواسم (Parentalia) التي تقام في شهر فيفري، واحتفالات (Lemuria) في كل من 11-9 و 13 من شهر مايو⁴⁴ بهدف التقرب من آلهة المانيس (Les Dieux Manes).

تتكون هذه الودائع من أواني المائدة ذات الأنماط المختلفة (كالأطباق، الجفان، الأباريق، الأنفورات، بالإضافة للمصابيح و القوارير، المرايا و الأبازيم)، ابتداء من تلك المصنوعة من الفخار المحلي إلى ذلك المستورد، حيث توضع بمحاذاة المدفن أو بعيدة عنه، وتمثل شواهد حية لممارسات طقسية تقام بجانب المدافن أثناء زيارات الأقارب (الصور رقم: 22،23).



الصور 22-23
نماذج من الودائع المعزولة خارج المدافن

9. الملحقات الدالة على موضع القبر: هي عبارة عن مجموعة من الأنصاب الجنائزية التي لم يتم العثور علي اي نصب منها في موضعه الأصلي ، حيث جاءت كلها في أماكن ثانوية، إما ملقاة في حفر بعيدة عن موضع المدافن، أو أعيد استعمالها كمادة للبناء. و جاء عددها قليلا جدا بالمقارنة مع المساحة التي قمنا بتوثيقها، حيث تم إحصاء نصبين كاملين في حالة حفظ جيدة، أما البقية فعبارة عن خمسة قطع ذات أحجام متفاوتة.

1.9. النصب الأول: عثر عليه أثناء المعاينة الأولى للموقع التي قمنا بها في 2012. تتمثل في قطعة غير كاملة من الحجر الكلسي، يبلغ ارتفاعها 0.63م وعرضها 0.43م، يتوسطها حقل كتابي مستطيل الشكل تبلغ مقاساته 0.34م على 0.50م ، تشغله كتابة باللغة اللاتينية، تتألف من ستة سطور .

D(IS).M(ANIBUS.S(ACRUM)
C(AIO).FLAVIO.SATURNINO.V(IXIT) A(NNIS
X.C(AIUS) LVCILIVS.IANVS.HER(E)S.FECIT

مكرسة لأرواح الآلهة المقدسة

الى كايو فلافيو ساتيرنيو الذي عاش عشر سنوات كايوس لوكيليوس

ايانوس أهده هذه الناقشة.

D.M.S
C.FLAVIO.SA
TURNINO.VA
X.C. LVCILIVS.
IANVS.HER
S FECIT

⁴⁴ Ovide, Fastes 2, 533-638 / Virgile, Enéide 5, 64 et suivant, cités par Scheid (J.) 2005 p. 178.

2.9.النصب الثاني: أما فيما يخص الناقشة الثانية فلقد تم العثور عليها في 2015 في حالة حفظ جيدة، أثناء أشغال الكشف في المنطقة رقم 5، ويتمثل في نصب من الحجر الجيري ذو قمة دائرية. تم العثور عليه على عمق 1 متر بالسبر رقم 3 من المنطقة رقم 5. تبلغ أطواله 1.48م طولا على 0.50م عرضا، يتوسطه حقل كتابي مستطيل الشكل، يتألف من أربعة سطور تبلغ مقاييسه 0.34م على 0.42م.

يوليا الخامسة
عاشت خمس و ثلاثين سنة، هنا دفن جثمانها.

IULIA. QIN
TA. VIXIT AN
(NIS
XXXV. HIC
SITA EST

3.9. النصب الثالث: تم العثور عليه أثناء الحملة الثالثة من شهر مايو من سنة 2018، بالمنطقة رقم 8 على مستوى المدفن 140. ينتمي هذا القبر لنمط الدفن العادي، من نمط الحفر المهيأة مباشرة في الأرض، تم تغطيته بواسطة مجموعة من البلاطات الحجرية، من بينها هذا النصب ذو الجبهة النصف دائرية، حيث يبلغ ارتفاعه 1.25م وعرضه 0.45م وسمكه 0.22م. يتوسطه حقل كتابي مستطيل الشكل يحمل كتابة باللغة الفينيقية الجديدة Néo-punique مكونة من خمسة سطور⁴⁵

شيد هذا النصب للسيدة جادا
ابنة رُستان
النقماتي زوجة
روقاتوس ابن بعل السكاب
عاشت 49 عاما

ṬN' 'BN Z LG
D' BT 'RYṢTN
HNGMṬY 'ŠT
RG 'Ṭ' BN BW/K B'L HNSK
HW' ŠNT 'RBM WTŠ'

4.9.النصب رقم 4: تم العثور على جزء من نصب جنائزي غير كامل في الجهة الشرقية من الموقع، أثناء الحملة الثانية لسنة 2018م، الذي لم يتبقى منه إلا الجزء العلوي، الذي يتمثل في جبهة مزدوجة. هيئ هذا الأخير على ما يبدو لاستقبال ناقشتين، إلا أنه لم يبق من هذه الناقشة اللاتينية إلا بعض الحروف المتمثلة في ما يلي.

MALLI
VS. VI

5.9.النصب الخامس: عثر على هذا النصب في المنطقة رقم 10، بالناحية الشرقية من موقع المقبرة الذي يشرف على الطريق الوطني رقم 21، حيث لم يبق منه إلا الجبهة والجزء العلوي من الحقل الكتابي. يبلغ الارتفاع الكلي لهذا

النصب 0.62م و عرضه 0.50م أما سمكه فيصل 0.20م. يتوسط ما تبقى من هذا النصب، حقل كتابي يحمل كتابة باللغة اللاتينية، يبلغ عرضه 0.40م وأعلى ارتفاع له 0.011م.

Q(INTUS) IVNIVS SILVANUS VIXIT

10 . الملحقات المكرسة للممارسات الجنائزية: تشهد بعض الملحقات المتصلة ببناء المدفن أو المنفصلة عنه، على مجموعة من الممارسات والشعائر، التي يقوم بها الأهل أثناء عملية الدفن أو بعد غلق القبر، وذلك بفوارق زمنية محددة من خلال رزنامة معروفة، من بين هذه الملحقات نذكر على سبيل المثال: موائد القرايين وقنوات الإراقة، التي من خلالها أو بواسطتها يتم تقديم الوجبات الجنائزية (le banquet funéraire) و التي يتقاسمها الأحياء مع أرواح الأموات بمناسبات أعياد الموتى⁴⁶.

1.10. موائد القرايين: نظرا للطابع الريفي الذي يتميز به المجمع السكني لقلعة بوصبع، جاءت المدافن وملحقاتها بسيطة تخلو من المنشآت الجنائزية المركبة، التي تعودنا ملاحظتها بمقابر المدن الكبرى، وذلك مما يؤكد انتمائها أو تأثرها بالجانب العقائدي والديني للعناصر البشرية النازحة إليها. فلا وجود للتواييت، ولا الأضرحة ولا الأقبية والسرادييب، بل انحصرت مدافنها في حفر بسيطة مهياة مباشرة في التراب. حتى تلك الطقوس الاحتفالية التي كانت تقام حول المدفن من خلال تلك الموائد الجنائزية المركبة، لم نلاحظ لها أثر بين مدافن قلعة بوصبع، باستثناء لوحيتين من القرميد تم إلحاقهما بالمدفنين 246 و 248 من المنطقة رقم 9، يتمثلان في شكل طاولتين مربعتي الشكل تتراوح مقاساتها بين 0.45 x 0.45م بالمدفن الأول و 0.55 x 0.55م بالمدفن الثاني. كما وضعت الأولى بجانب المدفن بالجهة الشرقية منه و الثانية في الناحية الشمالية، على مستوى موضع الأطراف السفلية للمتوفى، مثبتة بملاط جيري (الصورة رقم : 24).



الصورة رقم : 24
مائدة جنائزية

⁴⁶ Colling, David. Les scènes de banquet funéraire ou Totenmahl reliefs originaires d'Arlon. In: Bulletin Trimestriel de l'Institut Archéologique du Luxembourg, Vol. 87, no. 4, p. 155-176 (2011)
<http://hdl.handle.net/2078.1/90702>

2.10: أنابيب الإراقة: هي عبارة عن ممارسة جوهريّة لإتمام الطقوس والتضحيات الجنائزية، تؤدي عادة في أغلب المدافن، أثناء مراسيم الجنازة وقد تدوم بعدها، حيث يتم سكب هذا النوع من القرايين مباشرة على بقايا العظام، و تكتسي هذه الممارسة عدة وظائف، مخصصة عموماً لتكريم آلهة المانس⁴⁷، من بين العناصر المخصصة لهذه الممارسة على مستوى فضاء مقبرة قلعة بوصبع، تم تسجيل على مستوى السبر 14 من المنطقة 7 مجموعة مكونة من خمس 5 مدافن مخصصة لطقس الدفن العادي، من نمط الحفر المهيأة في التربة، نذكرها بانتظام 153-165-175-181-188، تم تجهيز حوافها الغربية، على مستوى موضع الرأس، بخمس أنفورات صغيرة الحجم، ذات شكل أسطواني، من نمط⁴⁸ (Van der Warff 2) لا يتعدى ارتفاعها 0.60م. كما جاءت هذه الأخيرة مغروسة بشكل عمودي بقاع المدفن، لا يظهر منها إلا الفوهة التي بقيت مكشوفة خارج المدافن، مشكلة بذلك قنوات يمكن من خلالها تمرير السوائل بداخل المدفن. يتبين لنا من خلال هذه الأنفورات أن هذا النوع من الممارسات غير غريب عن المجتمع القديم لقلعة بوصبع (الصورة 25).



الصورة 25
نموذج من أنابيب الإراقة

11. القرايين الغذائية الحيوانية: إن القرايين التي أسفرت عنها حفرة قلعة بوصبع تتمثل في قرايين حيوانية، تم الكشف عنها بثلاثة مدافن بالمنطقتين رقم: 7 و 9، حيث جاء المدفن الأول من نمط الحفر المغطاة ببلاطات حجرية، و المدفنين الآخرين فهما من نمط الصناديق المبنية، هيئت كلها من أجل استقبال طقس الدفن العادي. كما تتمثل هذه القرايين في بقايا عظمية تنتمي لفصيلة الطيور، تم وضعها بداخل أطباق من الفخار العادي على مستوى موضع حوض المتوفى.

⁴⁷ Hilali, A. les repas funéraires, un témoignage d'une dynamique socio-culturelle en Afrique romaine. Publié dans Ritual dynamics and religious change in the Roman Empire. Leiden, Boston, Brill, 2009. p.269-284
file:///C:/Users/user/Downloads/9789047428275-Bej.9789004174818.i-380_015%20(3).pdf

⁴⁸ Raynaud. C, et Bonifay. M, Amphore Africaines. Lattara 6. P.16

بينما تم تسجيل خارج المدافن بالمنطقة 3 و 9، صندوقين حجريين مربعي الشكل مبنيين من كتل حجرية مغروسة شاقوليا بالأرض، مهيأة من أجل استقبال أطباق تحتوي هي الأخرى على قرابين غذائية مماثلة لتلك المذكورة أعلاه (الصورة رقم : 26).



الصورة رقم : 26
قرابين حيوانية

الخلاصة:

لقد استخلصنا من خلال هذه الحفريات الاستنتاجات أهمها ما يلي:

- أسفرت هذه الحفريات عن هياكل ومرفقات، تدل كلها على وضع اجتماعي بسيط، إلا أنها تتميز بممارسات جنائزية متنوعة، تتماشى وطابع هذا الموقع المتفتح على ثقافات أجنبية دخيلة، من خلال حضور بعض النماذج من المرفقات المستوردة، و من خلال بعض الممارسات، كالإراقة، سكب الزيوت المعطرة والمآدب الجنائزية، التي تشير إلى درجة تأثر سكان الموقع بالجانب العقائدي الروماني أو كذلك حضور بعض العناصر الأجنبية بين سكان المنطقة.

- كما سمحت لنا الدلائل المادية بملاحظة استمرارية الدفن لفترة طويلة بهذه المقبرة، امتدت من القرن الأول إلى غاية القرن الرابع للميلاد، اعتماداً على المرفقات التي تم الكشف عنها بداخل المدافن وخارجها، و التي تتمثل في أطباق من الفخار الكمباني من نمط (C5-C7)، وأطباق من الفخار السيجيلي الإيطالي من نمط (sig.lt. 4.4 و sig.lt.6.5) تحمل أختاماً قديمة الشكل (Planta Pedis) لمجموعة من الورشات، نذكر منها ورشة (C. Amar) الذي كان ينشط من نهاية القرن الأول قبل الميلاد إلى غاية نهاية القرن الأول ميلادي. كما يجب الإشارة إلى مجموعة من المصابيح الهلينستية من نمط (AIII.7)، و أبازيم برونزية من نمط فوجار 3، تم تأريخها بالقرن الأول قبل الميلاد إلى غاية القرن الأول ميلادي.

- أما فيما يخص الملحقات التي ترجع إلى الفترة المتأخرة من استغلال هذه المقبرة، فلقد أحصينا مجموعة من الصحن والأطباق من الفخار السيجيلي المتأخر من نمط (Clair.D.58B-Clair.D.59-) Clair.D.63) ، إضافة إلى مجموعة أخرى من المصابيح المقناة المؤرخة بالقرن الثالث إلى الرابع ميلادي. ومما لا

يدع مجالا للشك عن استمرارية الدفن بهذه المقبرة، نذكر بعض الهياكل التي أعيد استعمالها في تهيئة المدافن، كنصب جنائزي يحمل ناقشة باللغة الفينيقية الجديدة تم استعماله كتغطية للمدفن 140 ، و غطاء حاوية حجرية تم استعمالها في بناء جوانب المدفن الصندوقي رقم 229، وتسجيل بعض القطع من الأنصاب المكتوبة باللغة اللاتينية، تم إعادة استعمالها في بناء بعض المدافن.

■ تعايش كل من طقسي الدفن العادي والترميز (الأولي و الثانوي) لفترة تمتد ما بين القرن الأول إلى القرن الثالث، واستمرارية طقس الترميم الثانوي إلى غاية القرن الرابع.

■ تميز المناطق المطلة على التجمع السكني باستغلال مفرط للمساحات، أين جاءت مدافنها متراسة ومتناضدة.

■ يتعذر علينا استخلاص نتائج تتعلق بنسبة وفيات الأطفال أو بالوضع الاجتماعي للسكان القلعة نظرا لعدم إمكانية التوثيق الكلي لمدافن هذه المقبرة . إلا انه إذا أخذنا بعين الاعتبار تنوع وتعدد الأثاث الجنائزي، خاصة المستورد منه، وعدد الناقشات التي تم العثور عليها إلى حد الآن، يمكن القول بتواجد بعض الشخصيات ذات الرتبة الاجتماعية المتوسطة.

• الببليوغرافية : أولا : المراجع باللغة الأجنبية :

- **ALQUIER J**; Le Chettaba et les grottes à inscriptions latines du Chettaba et du Taya, Constantine, Paulette et fils, 1929
- **Alquier. J-P**, Tombes phéniciennes à Djidjeli , R.A. 1930, p. 1-17
- **Baradez. J**, Les nécropoles de Tipasa, Tombes du cimetière occidental côtier, Ant-Afr.T2, p.77-93
- **Barone (R)**; Exploration et fouilles des grottes du Djebel Taya, B.M.S.L de Lyon, 13^e année, n°6, juin 1944.pp. 83-90.-
- **Barrand (H.E)**; Les pratiques funéraires liées à la crémation dans les ensembles funéraires des capitales de cité, au haut empire en Gaule Belgique, Thèse de doctorat, Université lumière- Lyon 2. UMR-5138-Archéométrie et Archéologie. 2012, Vol 1, p.596
- **Ben Abed. A**, Fouilles de la nécropole romaine de Pupput, CRAI, 2001, pp.553-592, fig.9-10
- **Bénichou-Safar. H**, Les tombes puniques de Carthage. Topographie, structures, inscriptions et rites funéraires. Paris, CNRS édit., 1982, p. 237.
- **Berbrugger. M**, L'Algérie historique, pittoresque et Monumentale, quatrième partie, province de Constantine. Paris chez J. Delahaye. 1843. p.3
- **Bouchenaki (M.)**; fouille de la nécropole occidentale de Tipasa,SNED. Alger 1975, pp. 89-91-191
- **Bourguiniat (JR)**; Histoire des monuments mégalithique de Roknia. Paris 1868.

- **Breuil. H, Reygasse (M), Roffo (M);** Excursion archéologique en Afrique du Nord, J.S.A. 1936. p. 163
- **Camps (G);** Bacax, Encyclopédie Berbère, IX, p. 1297-1298.
- **Camps (G);** Baldir, Encyclopédie Berbère IX, 1991. p. 1289
- **Camps. G,** Inhumation, dans encyclopédie berbère N°24, 2001, édition électronique, p.3738-3760
- **Chabot (JB);** Mission épigraphique dans l'Afrique du nord, CRAI 1919. -**Judas (A),** Etude démonstrative de la langue phénicienne et de la langue punique, RSAC X. 1866. p. 153-1
- **CIL, VIII.** 5504 à 5519 et 18828 à 18857.
- **Colling, David.** Les scènes de banquet funéraire ou Totenmahl reliefs originaires d'Arlon. In: Bulletin Trimestriel de l'Institut Archéologique du Luxembourg, Vol. 87, no. 4, p. 155-176 (2011) <http://hdl.handle.net/2078.1/90702>
- **Colonel Lapie,** Recueil des itinéraires anciens. Imprimerie royale, Paris. MDCCCXLV, p. 11 et 294.
- **Fevrier (P.-A.);** « Incinération et inhumation dans le Maghreb antique », in Incinérations et inhumations dans l'occident romain aux trois premiers siècles de notre ère, edit. M. Vidal, Paris, 1991, p. 186
- **Février.(P.A),** Nécropole orientale de Tiddis, Fouilles de Mai-Juillet 1967, BAA. IV, 1970, pp.41-100
- [file:///C:/Users/user/Downloads/9789047428275-Bej.9789004174818.i-380_015%20\(3\).pdf](file:///C:/Users/user/Downloads/9789047428275-Bej.9789004174818.i-380_015%20(3).pdf)
- **Gsell (st);** AAA f9, 150bis, p.21
- **Gsell (St);** HAAN, T-6. p.240 - **Camps (G);** Incinération, Encyclopédie berbère, vol 24. Mis en ligne 17
- **Gsell (st);** Les monuments antiques de l'Algérie. T. I. Paris.1921. p.33
- **Gsell. St,** Histoire ancienne de l'Afrique du Nord. Paris. 1927. T. 6.
- **Gsell. St,** Les monuments antiques de l'Algérie, t. 2, 1901, p. 39
- **Guery. R,** La nécropole Orientale de Sitifis, fouilles de 1966-1967, CNRS, 1985, p. 106, fig.92
- **Guery;** La nécropole orientale de Sitifis, fouille 1966-67, Ed. CNRS,
- **Hilali, A.** les repas funéraires, un témoignage d'une dynamique socioculturelle en Afrique romaine. Publié dans Ritual dynamics and religious change in the Roman Empire. Leiden, Boston, Brill, 2009. p.269-284
- **Le général Creully,** Announa et Hammam Maskhoutine. R.A. 1856-57, p.631
- **Leveau (Ph.);** Caesarea de Maurétanie : une ville romaine et ses campagnes. E.F.R, 70, Rome, 1984, pp. 13 et 206.
- **Leveau. Ph,** Fouilles sur la nécropole de la gare routière de Cherchel, 1992-93, Ant-Afr, 1999, pp.77-114
- **Louis, J.** Lampes romaines de Carthage. R.A. T.2. p.156. Pl.1
- **Ovide,** Fastes 2, 533-638 / Virgile, Enéides 5, 64 et suivant, cités par Scheid (J.) 2005 p. 178
- **Passelat, M.** Céramique sigillée italique, Lattara 6. 1993. p.559
- **Provoost, A.** Lampes antiques en terre cuite. Ant classique. T.45. p.555
- **Py, M.** Céramique Campanienne, Lattara 6. 1993. p.152
- **Raynaud. C, et Bonifay. M,** Amphore Africaines. Lattara 6. P.16

- **Reboud. V**, Excursion dans la Maouna et ses Contreforts, RSAC .1884, p. 14-15
- **Scheid (J)**; Pour une archéologie du rite, Nouvelle perspectives de l'Archéologie funéraire, collection de l'école française de Rome 2008. pp-355-358
- **Toutain. J**, Les cités romaines de la Tunisie, essai sur l'histoire de la colonisation romaine dans l'Afrique du Nord, Paris, pp. 230-235
- **Vigneral. Ch**, Ruines romaines de l'Algérie, Subdivision de Bône, Cercle de Guelma, Paris 1867. P. 3